صورة البطل في الحكاية الشعبية للمجتمع الورقلي

د. مباركة خمقاني
جامعة ورقلة

الملخص:

الحكاية الشعبية من أقرب الفنون الأدبية التراثية إلى قلب الإنسان بشتى أنواعها المختلفة، كونها ترتبط ارتباطا كبيرًا بالواقع الاجتماعي، فتناولت كلّ ما يمثله الإنسان من خير وشرّ، وحاولت توضيح ذلك من خلال كشف صورة البطل في الحكاية الشعبية لمنطقة ورقلة، سواء كان البطل عاديًا، أو أسطوريًّا، فهو يمثل الأمان والخوف، الشجاعة والجبن، القناعة والطمع،...

Résumé:

Le conte populaire c'est un art littéraire patrimonique le plus proche à l'homme, dans des types differents, comme il est très lié à la réalité sociale, il traite tout ce qui est représenté par l'homme du bien et du mal, nous avons tenté d'expliquer à travers la detection de l'image de le héros dans le conte populaire de la region de Ouargla, le héros soit ordinaire ou légendaire, il representera la peur, le courage, la lacheté, la conviction et la cupidité…

مقدّمة:

كلّ إنسان له موروث شعبي يميزه ويميّز بيئته بمختلف أنواعه كالسير الشعبية، الشعر الشعبي، الأمثال، الألغاز، الحكاية، التي هي موضوع دراستنا.

الحكاية الشعبية هي العنصر الأساسي في التعبير الشفهي لثقافة ما، وهي تقدّم عددًا من الصفات التي ترتبط بهيكل المجتمع الذي تعيش فيه في فترة معيّنة من حياته[1].

والأدب الشفهي بصفة عامة، والحكايات الشعبية بصفة خاصة، ما هي إلاّ عمل إنساني عام شعبي، غير فردي، عمل يشعر به الجميع ويفهمه الجميع فهو إنتاج تلقائي لشعب ما، عمل مجهول المؤلِّف، فهو إنتاج لشخص أو اثنين، ولكن سرعان ما تناولته الجماعة لتعدِّلَه وتملكَهُ، وتضيفُ إليه أو تحذف منه[2].

فالحكاية الشعبية سريعة الانتشار، طويلة المدى، تُعَمِّرْ عبر أجيال عديدة.

والحكاية في اللّغة من المحاكاة حكيت فلانًا وحاكيته فعلت مثله، أو قلت قوله.

اصطلاحا: عرفها برينجولف الفير "Brynjolf Alver" «هي لون من القصص النثري الذي ينتقل شفويًّا من عصور ما قبل التاريخ في هيئة أعداد محدودة من الأنماط التي يتكون كلّ منها من تشكيلة ثابتة من الموتيفات»[3].

وعرفها سعيدي محمد «وصف لواقعة خيالية أو شبه واقعية أبدعها الشعب في ظروف حياته، سجلها في ذاكرته، ورواها أفراده لبعضهم البعض بمرور الأيام، توارثوها فيما بينهم عن طريق المشافهة من أجل المتعة والتسلية»[4].

من سمات الحكاية الشعبية:

– إلقاء أحداث قد تكون واقعية، أو خيالية، وتكون نثرًا أو شعرًا يراعي فيها جذب اهتمام المستمعين والقارئين.

– النص لا يعرف مؤلفه، ويتم إيصاله شفويًّا.

– تستند لوقائع حدثت بالفعل، واكتست نوعًا من البطولة، أو تكون خيالية.

يضاف إليها: العراقة، السيرورة التي تعتمد أساسًا على الشفوية[5].

والحكاية الشعبية ترتبط بالواقع الاجتماعي بكلّ أبعاده لكن هذه الواقعية ليست محصّنة، إذ تكثر فيها الصدفة كما أنّها قد تكون حكاية الحيوان سواء أليف أو حيوان خُرافي وهناك حكايات خرافية خيالية[6].

البطل يمثل الدعامة الأساسية في الحكاية الشعبية لمنطقة ورقلة:

تجمع معاجم اللّغة العربية على المعنى الذي تفيده كلمة بطل وهي صفة الشّجاعة الفائقة هي الصفة البارزة فيه[7].

وورد في لسان العرب بأنّ البطل: هو الشّجاع...وقيل إنّما سُمِّي بطلاً لأنّه يُبطل العظائم بسيفه فيبهر بها، وقيل: إنّما سمِّي بطلا لأنّ الأشدّاءَ يَبْطُلُون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماءُ الأقران، فلا يدرك عنده ثأْرٌ من قومٍ أبطالٍ[8].

فالبطل هو الذي يعرّض نفسه للمخاطر والمهالك.

اصطلاحًا:

البطل هو الشخصية التي تدور حولها معظم الأحداث، وتُؤثّر هي في الأحداث، أو تتأثر بها أكثر من غيرها، من شخصيات في العمل القصصي، وتستمد معظم الشخصيات وجودها من مقدار صلتها بها ومن طبيعة تلك الصّلة[9].

وعرّفها شوقي ضيف «هي الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع فيها البطل عمن حوله من النّاس العاديين ارتفاعًا يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكبارًا، وقديمًا كان البطل في القبيلة وفي عهود الحياة الأولى للأمم، يعدّ شخصًا مقدّسًا»[10].

فميزته لا تقتصر على الشجاعة فقط، بل له مواقف أخرى أهلته للبطولة. فلهُ أهمية بالغة في أي عمل أدبي وحضوره يكون قوي وهذا ما سنراه في التراث الشفوي.فالبطل في الحكايات الشعبية هو عصب الحياة، وهو الذي يقرّر امتداد الحياة، فالحدث فيها تابع للبطل، وليس البطلُ تابعًا للحدث، فموضوع الحكاية هو البطلُ أوّلاً وأخيرًا[11].

والبطل في الحكاية يمكن أن يكون أي شخص في المجتمع، ومن الممكن أن يكون كلَّ شخصٍ، حيث تتمحور الحكاية حول الإنسان الشعبي، وتستخدم ما يفيدها من عناصر أسطورية وخرافية، إنّ مهمة البطل الشعبي هي الكشف عن الطريق المؤدي إلى النجاح وإن كان وعرًا، وتقتضي مهمته هذه أن يأتي بالخوارق والمعجزات وأحيانًا بأشياء غير عادية، أو مألوفة، فهو ساحر بكلماته وأفعاله، بحياته أو بموته، وأمّا الذين يقفون في وجهه، فإمّا يتغلب عليهم، أو يطيح بأعناق قاتليه حتى ولو بطريقة ما، بعد مماته[12].

إذن هو صراع من أجل الانتصار.

اعتمد الباحث على مجموعة من الحكايات الشعبية بمنطقة ورقلة لبيان صورة البطل فيها.

الحكاية الأولى والتي عنوانها "**وديعة مشتة السبيعة**" تدور أحداث هذه الحكاية حول بنت وإخوتها وسميت وديعة مشتة السبيعة لأنّها لما ولدت تفرق إخوتها وذهبوا من بيتهم بسبب خداع زوجة عمّهم لما رفعت المنجل الدّال على الولد، بدل رفع المغزل الدّال على البنت، لما كبرت بدأت رحلة البحث عن إخوتها، وما جرى لها في رحلة بيتها حيث صارت خادمة أو عبدة، زد على ذلك المشاكل التي واجهتها مع زوجات إخوتها اللواتي دبرن لها حيلة بوضعهم بيضة الأفعى في الأكل ممّا كوّن لها عذابًا لوحدها في الصّحراء، بعدما غادروا المكان لأنهم لم يستطيعوا أخذ وديعة بسبب ما تعانيه،حيث لم يستطع حتى الجمل حملها ولم يقو على الحركة. وأخيرًا وجدت من يساعدهافي التخلص من بيضة الأفعى، وتزوج منها وأنجبت له حبحاب وانتهت الحكاية بعودة إخوتها وانتقامهم من زوجاتهم بقطع رؤوسهن بالسيف ويعود الجميع إلى أمّه وأبيه.

بدأت هذه الحكاية بميلاد البطل، وميلاده في الحكاية الشعبية من أهمّ المظاهر التي استرعت الباحثين في مجال الأدب الشعبي، وذلك لارتباطها بالتراث الأسطوري الإنساني ويظهر هذا خاصة في أكلها لبيضة

الأفعى، ممّا ساهم في انتفاخ بطنها بحيث لم تعد تقوى على الحركة ممّا جعلها تمكث لوحدها في الصحراء مدة طويلة.

وحكاية البطل من مولده حتى يحقق غايته إنّما هي تعبير عن سيطرة النموذج الأصلي الذي يدفع الإنسان إلى الوصول إلى الكمال.

فمرحلة الميلاد أهمّ مرحلة، فيها تتحدّد خطوط المستقبل وما هو الطريق الذي يسير فيه. وهو اجتماع الأسرة من جديد.

- الحكاية الثّانية: لانجة ويوسف:

تدور أحداث الحكاية حول لانجة التي وقعت في ورطة مع الغول التي هي في منزله لخدمته وخدمة إخوته، لما عاد يوسف من السفر قرّر البحث عن لانجة للزواج بها، علمًا أنّها كانت تتميّز بجمال خارق ففي سبيلها يوسف يتحدى كلّ الصّعاب التي تواجهه في بلاد الأغوال والأهوال، ويعثر عليها بإرشاد عجوز تسكن هناك، ويخططان للهرب من الغول، فينجحان في ذلك لكن يقع يوسف في مأزق بعدم تصديقه للغول ويبقى في بطن الطير، وتبقى لانجة التي تحولت إلى كلبة (سلوقية).

وتتوالى الأحداث وتنتهي بزواجهما.

نلاحظ في هذه القصّة صورة البطل "الغول" أو ما يسمّى بالبطل الأسطوري فهو متوحش يملك سلطة على الإنسان ومقدرة خارقة إلى درجة أن دعواته تستجاب في تحول ابن عمّ لانجة (يوسف) إلى طير، وتحول لانجة إلى حيوان من جراء دعوة الغول عليهما، لأنّ البطل الأسطوري عادة ما يمتلك قدرات خارقة تعينه على إنجاز المهامّ الصعبة إلى جانب أنّه يتسم بجانب الخفّة والانتقال بحرية وسرعة فائقة من عالم إلى آخر، كما أنّ الغول سُخرت له قوى الطبيعة كالحجرة التي ضربته على رأسه ليستفيق ويتفطن لهروب لانجة.

الحكاية الثالثة:بقرة اليتامى:

موضوع الحكاية: يحكي معاناة يتيمين عائشة وعلي كانا يعيشان في أسرة سعيدة، لكنّها انقلبت لأحزان بعد وفاة والدتهما، في البداية تزوج والدهما

بزوجة تساعده على تربية الأبناء، فكانت تعاملهما بلطف لكن بعدما ولدت ابنتها "جوهر"، صارت تحت وطأة زوجة أبيهم، كل ما هو جيّد من الأكل لابنتها، وما يتبقى لليتيمين، فلجأ اليتيمان إلى بقرة يشربان من حليبها وعندما علمت زوجة أبيهما بالأمر أمرت ابنتها أن تفعل الشيء نفسه ممّا أدى بجوهر إلى العمى جراء ضرب البقرة لها، فأمرت هذه الزوجة بذبح البقرة التي جعلت ابنتها عمياء.

عنوانها: اسم حيوان يوضح الدور الذي لعبته البقرة اتجاه اليتامى وذلك بتعويضهم عن حنان أمّهم.

نلاحظ أنّ موضوع الحكاية يعالج الواقع الاجتماعي وهو صراع زوجة الأب مع أبناء زوجها لكن نجد جانبًا يغلب عليه وهو الجانب الخرافي كتحول فضلات البقرة إلى تمر، وجود الطامة وهو حيوان ذو سبعة رؤوس.

فزوجة الأب شريرة، والأمّ دائمًا طيّبة فهي تتحوّل إلى حيوان يحمي الأطفال ويدافع عنهم[13]، وهي هنا البقرة أو بقرة اليتيمين، والتي كان مصيرها الذبح.

وفي الأخير نجد أنّ الحكايات الشعبية مخزّنة في ذاكرة الشعوب، ناقلة لخلاصة تجارب هذه الشعوب بما تحققه من أهداف أو من متعة، لكن هذه المتون الشفوية تركت لتواجه احتمالات النسيان والاندثار ، فهي كنوز ثقافية، غابت فيها الدائرة التي يقيمها الأحفاد حول الجدة، لذلك الدعوة مفتوحة إلى تسخير التكنولوجيا لخدمة هذا التراث الشعبي والمحافظة عليه.

---

[1]– غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997م، ص: 5.

[2]– نفسه، ص: 6.

[3]– ينظر: حورية بن سالم، الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص: 73.

[4]– سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 58.

[5]– ينظر: حورية بن سالم، الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، ص: 73.

[6]– ينظر: نفسه، ص: 75، 8.

[7]– الفيروز الأبادي (محمد بنُ يعقوب)، القاموس المحيط، مكتبة الباني الحلبي، مصر، ط2، 1952م، مادة (بطل)، ص: 1249.

[8]– ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1408هـ–1988م، مادة (بطل)، 56/11.

[9]– ينظر: عبير حامد محمد العويضي، صورة البطل في القصة القصيرة السعودية، ماجستير، تخصص: أدب ونقد، إشراف: أد إبراهيم بن عبد الله البعول، 1435هـ/2014م، ص: 9.

[10]– شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي،دار المعارف، مصر، دط، 1982م، ص: 9.

[11]– ينظر: المذكرة، ص: 16.

[12]– أحمد شمس الدين الحجاجي، البطل في الحكاية الشعبية، www,storfimes ?com/ ?+2786274.

[13]– غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، ص: 69.